فريق التفريغ بموقع الطريق إلى الله
يـــقـــدم

من سلسلة "كيف تتلذذ بعبادتك؟"
حب الله ولذة الشعور به

لفضيلة الشيخ: مشاري الخراز

رابـط الـمـادة: www.way2allah.com/khotab-item-77449.htm

بسم الله الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد:

اسمح لي اليوم أن أفترض معك افتراضًا، أعلم أنه لن يحدث ولكن أريد أن أعرف ما هو شعورك فيه فقط، ما هو شعورك لو عُرج بك إلى السماء، تمر على السماوات واحدة تلو الأخرى حتى تصل إلى السماء السابعة ثم قالت لك الملائكة إنّ الله سيكلمك الآن؟!

فعلًا كلمك الله فأصبحت أنت تحمد الله على هذه النعمة وهو يرد عليك وتُثني عليه وهو يُثني عليك وتَشكُره وتُمجده وأنت تُكلمه وهو يرد عليك! وفي لحظة من لحظات شدة فرحتك بهذا المقام قلت لله تعالى يا رب أنا أحبك، كيف سيكون شعورك؟، هل من المعقول أن تكون سرحانًا في تلك اللحظة؟، هل يمكن أن تفكر في أي شيء آخر؟، هل يمكن إلا أن تكون في قمة حلاوة الشعور واللذة؟، تدري ما هو الغريب؟، الغريب أنّ هذا الموقف يحدث لنا في كل يوم، ولكن على الأرض وليس في السماء.

فاتحة الصلاة حوار بين العبد وربه

ألست تقف بين يدي الله تعالى في الصلاة فتكلمه ويكلمك؟، تقول "الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ" الفاتحة:٢ فيرد الله عليك ويقول حمدني عبدي كما ورد في الحديث ثم تقول "الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ" الفاتحة:٣ كأنك تقول أنت يا ربي الرحمن وأنت الرحيم فيقول الله لك أثنى علي عبدي كما أخبر بذلك النبي –صلى الله عليه وعلى آله وسلم– ثم إنّك في الفاتحة تقول بعد ذلك "إِيَّاكَ نَعْبُدُ" الفاتحة:٥

ما معنى العبادة؟

فما معنى العبادة؟ العبادة هي أعلى مرحلة من مراحل المحبة، المحبة درجات كثيرة أول مراحلها العلاقة ثم الحب والعشق والصبابة والخُلة والتَتَيُم، أعلى شيء هي مرحلة العبادة وهذه لا تنبغي إلا لله، كمال الحب مع كمال التعظيم هذه العبادة، فإذا قلت لله في الفاتحة "إِيَّاكَ نَعْبُدُ" الفاتحة:٥ يعني أنك تقول لله أنا أحبك ولا أحب أحدًا غيرك وهو يسمعك ويرد عليك.

بالله عليك كم مرةً في الصلاة أخبرنا الله تعالى بحبنا له ونحن في سرحان وغفلة ما استشعرنا هذا الحوار العظيم بيننا وبين الله تعالى في سورة الفاتحة التي هي أعظم سورة في المصحف كله؟، أكثر سورة يحبها الله تعالى هي سورة الفاتحة.

البسملة هي ذكر لإسم المحبوب وهو الله

وأول شيء تقوله في الفاتحة هي "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ" الفاتحة:١، تبدأ بذكر اسم المحبوب لأنّ المحب إذا تعلق بمحبوبه تعلق بذكر اسمه.

هذا قيس مجنون ليلى كان قد تعب من عشقه بليلى وأبوه أيضًا تعب في علاجه حاول به بشتى الطرق بلا فائدة فأراد الأب أن يذهب بابنه إلى الحجّ لعل الله أن يخفف عنه ويشفيه فذهب به وسبحان الله بعد أن طاف قيس بالكعبة المشرفة والصفا والمروة ومزدلفة عرفة وما أدراك ما عرفة فسبحان الله وكأنه تغير وبقيت أيام التشريق يبيتون فيها بمنى..

وبينما هم بقرب من مسجد الخيف جالسون إذ برجل يبحث عن أخته أو ابنته المهم اسمها ليلى وهو يصيح في الطرقات ليلى ليلى وكلما نطق بهذا الاسم تقطع قلب صاحبنا وهو يسمعه فعاد به من المرض مرض العشق أشد مما كان في السابق ثم قال قيس: "وداعٍ دعا إذ نحن بالخيف مِنْ مِنَى فهيج أحزان الفؤاد وما يدري، دعا باسم ليلى غيرها فكأنما أطار بليلى طائرًا كان في صدري"

فإذا كان هذا الحب الأدنى بالتعلق في اسم المحبوب فكيف يكون تعلق الحب الطاهر بين العبد وربه ؟!، الذي لا يشابهه هذا الحب بأي وجه من الوجوه! فتبدأ الفاتحة بذكر اسم المحبوب تقول "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ" الفاتحة:١

حمد الله والثناء عليه

ثم تقول له "الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ" الفاتحة:٢، أول شيء الحمد لله، الحمد كلمة عظيمة لدرجة أنها تملأ ميزان حسناتك يوم القيامة، قال رسول الله –صلى الله عليه وعلى آله وسلم–: "والحمدُ للهِ تملأُ الميزانَ" صحيح مسلم، وكل شيء يسبح بحمده سبحانه، كل شيء يحمده حتى أهل النار.

قال الحسن البصري رحمة الله عليه قال "إنّ أهل النار ليدخلون النار وهم يحمدون الله أنّه لم يظلمهم" فإذا كان أهل النار يحمدونه فكيف لا أحمده أنا بقلب حاضر متأمل في الصلاة؟!، "الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ" الفاتحة:٢

حمد الله في الصلاة أعظم من جميع النعم الدنيوية!

هذا الحمد الذي قلته في الصلاة هو أعظم من جميع النعم الدنيوية التي مرت عليَّ، يعني مثلًا إذا جاءت نعمة في الدنيا مثلًا نعمة وظيفة ممتازة فقلت بعدها الحمد لله، قلك الحمد لله نعمة من الله أيضًا ولكنها أعظم من نعمة الوظيفة، قال –صلى الله عليه وعلى آله وسلم–: "ما أنعمَ اللهُ على عبدٍ نعمةً فحمِدَ اللهَ عليها، إلَّا كان ذلِكَ الحمدُ أفضلَ منْ تلكَ النعمةِ" صححه الألباني

بل إذا قلت الحمد لله فإن الله تعالى هو الذي حمد نفسه على وجه الحقيقة.. كيف؟ لأنه هو الذي وفقك لكي تقوم بين يديه في هذه الصلاة وهو الذي أعانك إلى أن قلت "الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ" الفاتحة:٢ والعجيب في الأمر أنه يأجرك بعد هذا كله.

وكلما حمدت الله فأنت تحتاج إلى حمدٍ آخر وعلى هذا فقولك الحمد لله هو نعمة تحتاج إلى حمد فيجب أن تقول الحمد لله على نعمة الحمد لله ثم الحمد الثانية هذا هي نعمة ثانية أيضًا تحتاج إلى حمد وهكذا، الحمد معانيه واسعة أوسع من أن تمر عليها في الفاتحة بدون تأمل.

لماذا جاءت "الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ" مباشرة بعد هذه الآية؟

ولكن لماذا جاء بعدها مباشرة "الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ" الفاتحة :٣، يعني لماذا لم تكن الفاتحة كالتالي، الحمد لله رب العالمين، مالك يوم الدين، الرحمن الرحيم، لا، لماذا أتت بعد "الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ"؟

الجواب: لأن ربوبية الله تعالى للعالمين ربوبية رحمة وليست ربوبية شدة فهو "بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ" التوبة:١٢٨، ولأن آية "مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ" الفاتحة:٤ ترهيب، فيها ترهيب، وآية "الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ" الفاتحة :٣ ترغيب، فقدم الترغيب على الترهيب لكي لا تنصدع قلوب عباده، وهكذا يخاطب الله تعالى عباده الذين يحبهم، يُلين قلوبهم أولًا ثم يذكر بعدها جانب الشدة.

انظر مثلًا عندما خاطب الله نبيه –صلى الله عليه وعلى آله وسلم– عندما أراد أن يعاتبه بأنه أَذِنَ للمنافقين فقال له في سورة التوبة: "عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ" التوبة:٤٣، لاحظ أنه لم يقل لم أذنت لهم عفا الله عنك؟، أبدًا إنه لم يقل، إنما قال "عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ".

الترغيب قبل الترهيب يجب أن يكون أسلوب حياة

فتخيل لو أنّ محامي المتهم مثلًا جاءه ليخبره بحكم القاضي فيه فقال له: إنّ القاضي يعاتبك فلماذا كنت في مسرح الجريمة، لماذا تركت حقيبتك عند القتيل، لماذا لماذا لماذا ثم بالنهاية قال له لكنه أعطاك براءة، في الحقيقة المحامي الآن أعدمه نفسيًا قبل القاضي، ولكن لو أنّ المحامي قال له، في البداية: إنّ القاضي يقول لك براءة لكن لماذا كنت في مسرح الجريمة؟ لماذا تركت حقيبتك عند القتيل؟

الآن لو قال ما قال لا يهم، أليس كذلك؟، أهم شيء أنني براءة، ثم بعد ذلك قل ما تشاء، لهذا أولًا "عَفَا اللَّهُ عَنْكَ" التوبة:٤٣ ثم بعد ذلك "لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ" التوبة:٤٣، أولًا الرحمن الرحيم ثم بعد ذلك يأتي ذكر يوم الدين يوم القيامة مالك يوم الدين.

الفرق بين "مَلِك" و"مَالِك"

في هذه الآية قراءتان كلاهما عن النبي –صلى الله عليه وعلى آله وسلم–، القراءة الأولى "مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ" الفاتحة:٤، والقراءة الثانية: "مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ" الفاتحة :٤، يعني مالك وملك، وكلاهما من أسماء الله عز وجل وبينهما فرق:

مالك يوم الدين: من المِلك، أي تملك الأشياء كأنك تقول ملكتُ البيت وملكتُ الكتاب.

أما مَلِك يوم الدين: فمن المُلك، والمُلك أي السيادة والتصرف وقد يكون العبدُ مَلِكًا ولا يكون مالِكًا وقد يكون

مالكًا ولا يكون مَلِكًا.

مثلًا بعض الدول كالولايات المتحدة يعني يكون الرئيس فيها كالملك يتصرف ويدبر الأمور ولكنه بعد ٤ سنوات أو ٨ سنوات تُجرى انتخابات ويعود مواطنًا عاديًا، فهذا في الحقيقة مَلِك ولكنه ليس مالِك، لأنّ الأشياء الذي بسط عليها ملكه وتدبيره لا يملكها للأبد بل تُنزع منه فهو ملِكٌ وليس بمالك، حتى لو أدار أقوى دولة في العالم.

وبعض الناس العكس.. يكون مالكًا ولكنه ليس بملك حقيقي وحتى إن سموه ملك لأنه لا يتصرف في ملكه، ألا ترون بعض الدول الأوروبية كبريطانيا وأسبانيا مثلًا يوجد فيها ملك وملكة يحملون عرش المملكة وتوضع صورهم على العملات ويتوارثون البلاد أبًا عن جد ولكنهم لا يستطيعون اتخاذ ولا حتى قرار واحد في ملكهم بل الأمر كله عند رئيس الوزراء فهذا مالك نعم ولكنه ليس بملك على الحقيقة لأنه لا يتصرف.

الله هو المَلِك والمالِك سبحانه

أما ربنا سبحانه فهو ملك ومالك فجمع بين الملكين سبحانه جلّ في علاه يملك كل شيء وهو المتصرف في كل شيء فمُلكُه كامل كما أنّ مِلكَهُ كامل فهو ملك مالك لأعظم يوم في التاريخ يوم الدين، "مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ" الفاتحة: ٤

رواية ابن كثير في تفسيره

ذكر ابن كثير في تفسيره أنّ الله يأمر إسرافيل بنفخة الصعق فيقول له انفخ نفخة الصعق فيُصعق أهل السماوات والأرض إلا ما شاء الله فإذا انخمدوا جاء ملك الموت فقال يا رب قد مات أهل السماء وأهل الأرض إلا من شئت فيقول الله تبارك وتعالى فمن بقي وهو أعلم سبحانه؟

فيقول يا رب بقيت أنت الحي الذي لا يموت وبقي حملة عرشك وبقي جبريل وميكائيل وبقيت أنا فيقول الله عز وجل ليمت جبريل وميكائيل فيموتان فيأتي ملك الموت إلى الجبار عز وجل فيقول يا ربي قد مات جبريل وميكائيل فيسأله الله عز وجل وهو أعلم من بقي؟ فيقول بقيت أنت يا رب الحي الذي لا يموت وبقي حملة عرشك وبقيت أنا، فيقول الله عز وجل ليمت حملة عرشي فيموتون ثم يأتي ملك الموت فيقول يا ربي قد مات حملة عرشك فيسأله الله عز وجل وهو أعلم من بقي؟

فيقول يا رب بقيت أنت الحي الذي لا يموت وبقيت أنا فيقول الله عز وجل يا ملك الموت أنت خلق من خلقي فمت فإذا لم يبق إلا الله الواحد الأحد الصمد طوى الله عز وجل السماوات والأرض كطي السجل للكتب ثم ينادي سبحانه في ملكوت السماوات والأرض في أرجاء مملكته فيقول أنا الجبار، أنا الجبار "لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ" غافر: ١٦ فلا يجيب أحد، الناس كلهم ماتوا، ثم يقول سبحانه "لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ" غافر: ١٦، فلا يجيب أحد ثم يقول "لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ" ثم يجيب هو نفسه سبحانه ويقول "لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ* الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ "غافر١٦: ١٧، لا إله إلا الله والله إنّه ليوم عظيم.

والله لا ألوم أحد لو سأل الآن كيف يمكن أن ننجو من ذلك اليوم؟ من يوم الدين، الجواب ذكره الله تعالى في سورة الفاتحة، في نفس السورة ولكن في إشارة دقيقة قليل من الناس من ينتبه لها، سنذكرها إن شاء الله عز وجل ولكن في الحلقة القادمة.

تم بحمد الله

شاهدوا الدرس للنشر على النت في قسم تفريغ الدروس في منتديات الطريق إلى الله تفضلوا هنا:

http://forums.way2allah.com/forumdisplay.php?f=36